



مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتفاء

namacenter



أوراق نماء



أثر الخطاب الدينيّ الوسطي في التّلاحم المجتمعي
نهي كمال سليم

أثرُ الخطابِ الدِّينِيِّ الوَسْطِيِّ في
التَّلاحِمِ المَجْتَمَعِيِّ

أثرُ الخطابِ الدِّينِيِّ الوَسْطِيِّ في التَّلاحِمِ المِجْتَمَعِيِّ

الدُّكتورة/ نهى كمال سليم (باحثة بالمجلس الأعلى للشؤون
الإسلامية تمصر)

nohasalim2011@hotmail.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص باللغة العربية	٧
الملخص باللغة الإنجليزية	٩
مقدمة	١١
المبحث الأول: ماهية الخطاب الديني، وأهميته	١٣
المبحث الثاني: معوقات الخطاب الديني	١٧
المبحث الثالث: شروط الخطاب الديني	١٩
١- تأهل المتكلم للخطاب	١٩
٢- الاعتناء بالدليل	١٩
٣- الاعتناء بفقهِ الدليل ومراعاة مقاصد النصوص	٢٠
٤- تجنب ذكر الضعيف وشاذ العلم من أجل الدنيا	٢٠
٥- عدم التوسع في المسائل الكلامية	٢١
المبحث الرابع: دور المنهج الوسطي في تنمية خطاب ديني معتدل	٢٣
أثر الوسطية في الخطاب الديني على الفرد والمجتمع	٢٦
١- ينتشر التقارب والتعايش بين الناس	٢٦
٢- نبذ العصبية والدعوة إلى الحوار	٢٦
٣- التعايش السلمي	٢٧
٤- يتم ترشيد الخطاب الديني	٢٧
٥- تنتشر القيم والمبادئ العظيمة	٢٧
٦- ينتشر الأمن والأمان بين المجتمع	٢٨
٧- وجود التكافل الاجتماعي والتراحم بين المجتمعات	٢٨

٢٩	توصية
٣١	الخاتمة
٣٧	قائمة المراجع
٣٨	الأبحاث العلميّة
٣٨	الدوريات وشبكة المعلومات الدوليّة

ملخص باللغة العربية

الخطاب الديني هو فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التأثير، إنه فن من فنون تلقين المعرفة الدينية، وطريقة من طرائق تحريك الوعي لدى المتلقي، وهو كذلك عملية تربوية توجيهية أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو أيضاً كلُّ تعبير عن رسالة الإسلام الأخلاقية والحضارية، وكلُّ تعبير عن حقيقة الدين الإسلامي، كما أنَّ الخطاب الديني هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى النَّاس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

إنَّ لغة الخطاب المعتدل تجلَّت معانيها في القرآن الكريم بشكل واضح، ما يحتمُّ علينا التَّركيز على عناصر الوحدة والتَّقارب بين الأديان، وجعلها حلقة وصل فيما بيننا. وتتَّفَق كلُّ الطَّوائف الدِّينية على هذا؛ فالرَّكيزة الأساسية التي يستند إليها أي خطاب هي انطلاقه من رؤية فكرية ينبثق عنها آراء وتصورات معبرة عن هوية الخطاب، فالخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق، ونظرة موضوعية.

والأصل في الخطاب الديني هو الاعتدال، وسبب ظهور بعض الجماعات المتشددة والمنسوبة إلى الدعوة الدينية والخطاب الديني ظلماً وبهتاناً، من خلال عدم وضوح رؤية الاتجاهات الإسلامية وتضاربها وقلة التعامل مع قضايا العصر ومتطلباته، فضلاً عن الأنانية وحبِّ الذات أي بسبب إعجاب المنتسبين إلى الدعوة الدينية بنفسهم، وعدم رؤية مصلحة الأفراد والمجتمعات، أي تفضيل

مصالحهم الشخصية على المصلحة الفردية، أي مصلحة الجماعة من خلال الجهل
بالمقاصد الشرعية والتغاضي عنها، والخلل في ترتيب الأولويات.
الكلمات المفتاحية: الخطاب، الاعتدال، التطرف، الوسطية، الإرهاب.

المُلخَصُ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ

Religious discourse is an art of the say, and a means of influence, it is an art of imparting religious knowledge.

The origin of religious discourse in Islam is moderation, the attribute of moderation in the Qur'an and Sunnah has been clearly demonstrated.

The Prophet Mohammed (PBU) addressed all groups and lived with them and lived in Mecca with the infidels as well as in the city concluded an era with the Jews and coexist with them under the roof of one state.

The reason for the emergence of some extremist groups and attributed to the religious call and religious discourse is the lack of clarity of the Islamic trends and inconsistencies and lack of dealing with contemporary issues and requirements as well as selfishness and love of self, because of the admiration of those who belong to the religious call themselves.

الكلمات المفتاحية باللُّغة الْإِنْجِلِيزِيَّةِ:

Discourse, moderation, extremism, moderation, terrorism.

مُقَلَّمَةٌ

أصبح الخطاب في العصر الحديث موضوعًا للبحث في الفكر الغربي على وجه العموم، وخصّه اللسانيون والفلاسفة وعلماء التّأويل بعناية واهتمام بالغين؛^(١) وهذا الاهتمام يعود إلى أصل الحوار الذي يبني العلاقات بين بني البشر على مستويات مختلفة بين الشرق والغرب. ونحاول تقديم بعض الضوابط من خلال الخطاب الديني ودوره في حرية التعبير؛ لأنّ الدين هو المعول عليه في نزع الاحتقان الداخلي بين الشعوب التي يحكمها الأهواء والأطماع الاستعماريّة الفكرية والثّقافيّة، التي ليس لها إلا ضابط المنفعة التي تعود عليهم بالنّفع دون النّظر إلى الضّرر الذي يلحق بالآخر، حيث إنّ الرّجوع إلى الدين هو منقذ الشعوب المتهالكة على حبّ الدّنيا؛ إذ إنّ جمع بين سعادة الدارين.^(٢)

إنّ النّاس سواء في حبّ الحياة، وعلى الجميع أن يفهم شعور الآخر، وأنّ كلّ إنسان له مهمّة يؤدّيها لأخيه من بني البشر، وأهل الإسلام هم أكثر الشعوب عطاءً للإنسانيّة؛ لأنّهم يعملون برقابة ذاتيّة، ويعلمون أنّ الله يجزل لهم المثوبة في خدمة الآخرين؛^(٣) ولذلك يجب الاستفادة من الجسور المشتركة بين الأديان؛ حيث إنّ الجسور المشتركة بين الإسلام وما سبقه من الأديان كثيرة وغنية، يمكن

(١) قائمة الهوامش:

(٢) عبد الله إبراهيم، الثّقافة العربيّة والمرجعيات، المركز الثّقافي العربي، لبنان، ١٩٩٩م، ١٠٣.

(٣) إلهام المتمسك، الخطاب الديني عند الدّكتور/ عباس الجراري: المرجع والبنية، أطروحة دكتوراه بإشراف الدّكتور/ عبد المجيد بن الجلالي، كليّة الآداب بالرباط، ٢٠٠٨م، ٢٥.

الانطلاق منها في شرعنا والتحاكم إليها؛ للتوصل إلى ما يبرز سماحة الإسلام وسمّوه في الدّعوة إلى وحدة الصّفِّ، والوقوف أمام التّيارات الإلحادية أو العلمانية أو المادية أو غيرها من نزعات الفلسفة الوضعيّة، فيكون الخطاب الدّينيّ لهؤلاء أقوى وأنفذ وأحكم؛ ف«الإسلام واليهودية والمسيحيّة» يؤمنون بالذّات الإلهية، وبرسالة الرّسل الكرام، وبالكتب السّماوية، وبالملائكة الأطهار، وباليوم الآخر يوم الثّواب والحساب.

والوصايا الأخلاقية العشر مقرّرة في هذه الأديان: لا تزني، ولا تسرق، لا تقتل نفساً، لا تكذب . . . إلخ. ومنهج الحرام والحلال في الأحكام واحد، للدلالة على وجود النّظام الدّينيّ القائم على تحقيق وإشاعة نزعة الخير والمصلحة، ومقاومة نزعة الشّرّ والمفسدة. ^(١)

ويتناول البحث أربعة مباحث تدور حول هذا الإطار، وهي على النّحو التّالي:

(١) المرجع السّابق، ٢٥.

المبحث الأول ماهية الخطاب الديني، وأهميته

الخطاب لغة: هو مراجعة الكلام^(١)، وهو الكلام والرّسالة^(٢)، وهو المواجهة بالكلام، أو ما يخاطب به الرّجل صاحبه، ونقيضه الجواب^(٣)، وهو مقطع كلاميٌّ يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلّم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السّامع أو القارئ)، ويكتب الأوّل رسالة ويفهمها الآخر بناء على نظام لغويّ مشترك بينهما^(٤). والخطاب يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع؛ فإنّه لا يسمّى خطاباً^(٥).

الخطاب الديني اصطلاحاً: هو مادة الكلام الدينيّ وما يتعلّق به من عبادات ومعاملات، وبيان التّشريعات المقولة أو المكتوبة بين المتكلّم أو السّامع، وبين الخطيب والمخاطب، وبين الكاتب والقارئ^(٦). يقول الدّكتور الجراري: الخطاب الدينيّ هو فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التّأثير، إنّه فن من فنون تلقين المعرفة الدينيّة، وطريقة من طرائق تحريك الوعي لدى المتلقي، وهو

(١) وهبة مصطفى الرّحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السّعوديّة، ٤٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (خطب).

(٣) مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، الطّبعة الخامسة، ٢٠١١م، مادة (خطب).

(٤) محمّد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، الطّبعة الثّانية، ١٩٨٠م، مادة (خطب).

(٥) يعقوب إميل، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، مادة (خطب).

(٦) أبو البقاء الكفوي، الكلبيّات، طبعة مؤسسة الرّسالة، بعناية: عدنان درويش ومحمّد المصري، بيروت،

١٩٩٢م، ٤١٩.

كذلك عملية تربوية توجيهية أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو أيضًا كلُّ تعبير عن رسالة الإسلام الأخلاقية والحضارية، وكلُّ تعبير عن حقيقة الدِّين الإسلامي، كما أنَّ الخطاب الدِّيني هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى النَّاس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين^(١).

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الخطاب الدِّينيَّ يشمل كلَّ خطاب يدور مضمونه حول الدِّين بيانًا وعرضًا واستلهامًا، أو تحليلًا لقضاياها أو دعوة لتبنيه في مناحي الحياة المختلفة، أو نقدًا لنصوصه وصدًا ونبذًا لأقواله وأحكامه وحقائقه، سواء تعلَّق ذلك بمجال العقيدة أو الفقه أو الفلسفة أو العلم أو الأدب أو الفن، وما إلى ذلك من أنواع التَّعبير القديمة أو المستحدثة.

كما أنَّ المراد بالخطاب الدِّينيَّ هو كلُّ بيان باسم الدِّين يوجِّه للناس كافةً، وسواء كان هذا الخطاب في صورة خطبة أو محاضرة أو رسالة أو مقال أو كتاب أو مسرحية أو عمل درامي على اختلاف أنواعه وأشكاله الفنيَّة؛ لأنَّ الخطاب الدِّينيَّ لا ينبغي أنْ نحصره في جنس تعبيريّ دون غيره، إنَّ التَّوسُّع في مفهوم الخطاب الدِّينيَّ ينسحب أيضًا على خطابنا الإسلاميِّ المعاصر، كما يتيح من جهة أخرى للباحث المحلَّل إمكان مقارنة خطاب مختلف الجماعات والتَّيارات التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بالإسلام، دون النَّظر في خلفياتها المرجعية، وبغض النَّظر عن دعاوى بعضها^(٢).

أهمية الخطاب الدِّيني^(٣):

١- ضروري لتبليغ الرِّسالة: ذلك لأنَّ المسلمين في كلِّ عصر مطالبون بتبليغ رسالة الله عبر خطاب إسلامي يقدِّم الإسلام بمضمون صحيح كامل، وأسلوب متميِّز وفعال .. مخاطبًا جميع الفئات والهيئات ومختلف الأجناس

(١) إلهام المتمسك، الخطاب الدِّيني عند الدُّكتور/ عباس الجراري: المرجع والبنية، ٢٥-٢٦.

(٢) المرجع السَّابق، ٢٥.

(٣) مظاهر التَّجديد، ٧١-٧٢. إلهام المتمسك، الخطاب الدِّيني عند الدُّكتور/ عباس الجراري: المرجع

والبنية، ٢٩.

داعياً إلى التوسط والاعتدال والافتداء بالرَّسُولِ ﷺ.

٢- الخطاب والتبليغ هو سبيل الأنبياء والصالحين: للبلاغ والتبيين وسبيل

النَّجاة للجميع؛ لقوله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّاً﴾ [آل بَلَعَا مِنَ اللَّهِ وَرَسَلْتِهِ] [الجن: ٢٢، ٢٣].

٣- الخطاب والتبليغ طريق الخلاص للعالم: لأنَّ الواقع البئيس الذي

يعيشه العالم اليوم يفرض على المسلمين أن ينشروا الخير الذي عندهم، والذي يقدِّم الحلول النَّاجعة لمشاكل العالم، مستخدمين في ذلك أدوات العصر ولغته في مخاطبة النَّاس، تحقيقاً للخيرية لهذه الأمة على الأمم، وكما حصل في الأعوام السَّابقة في الأزمة المالية العالمية فبدأت بعض الدُّول تبحث عن الحلِّ في الاقتصاد الإسلامي، وأرسلوا العلماء والباحثين إلى بلاد المسلمين كما عملت روسيا من خلال التَّواصل مع الأزهر وغيره.

٤- التبليغ أعظم وظيفة ينال شرفها من وفقه الله: لأنَّها وظيفة الأنبياء

والمرسلين، وكما قال الرَّسُولُ ﷺ - «لأنَّ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

٥- الخطاب الدِّينيُّ هو أساس التبليغ لدين الله تعالى: لإنقاذ البشرية

وتعليمها أمور الدِّين كما قام به الأنبياء والمرسلون، ومجمل التبليغ هو الخطاب والكلام وإبراز المعاني بالألفاظ والأصوات، وهناك أمر يساعد على التبليغ وهو أبلغ من الخطاب وهو القدوة الصَّالحة والدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة فلقد نهى الله تعالى عن مخالفة القول بالعمل؛ حيث يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [كَبُرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ] [الصف: ٢، ٣].

٦- الخطاب الدِّينيُّ هو تكليف رباني: أمر الله به الأنبياء والمرسلين حيث

يقول تعالى لرسوله: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وامثال لهدى الرَّسُولِ الأعظم القائل: «بلِّغوا عني ولو آية».

المبحث الثاني معوّقات الخطاب الديني

من أهمّ المعوّقات ضعف الخطاب الدينيّ وسطحيته في كثير من الأحيان وبعده عن مناقشة القضايا المطروحة، ممّا أفقده القدرة على التأثير في حياة الناس، وتعميق هذه السّطحية لدى الملتقي^(١). إنّ رؤية الدعاة التّربويّة المتكاملة، تُنتج الشّخصيّة الإسلاميّة المتكاملة، واقتصار الخطاب الدينيّ على الجانب العاطفيّ أو على السّطوح دون الأعماق، وعلى الفرعيات دون الأصول -تلبيةً لرغبة الجماهير- قد افسد ثمرته، وأحاله إلى أدوات شقاء عند قطاعات كبيرة من الشّعوب؛ لأنّ هذا الاقتصار قد فصل الوسائل عن الغايات التي توفّرها الرّؤية المتكاملة، وما يتفرّع عنها في حياة الأفراد والجماعات؛ ولذلك يجب على الدّاعية أن يكون مثلاً يُحتذى به في الفهم الشّامل وفق منظومة أولويات واضحة، فإنّ المثل الأعلى -في الفهم والتّطبيق- يعطي نتائج إيجابية في حياة الناس، ويكتسح ثقافة العالم بسرعة، ومن هنا يفرز حضارة واقعية الغايات والوسائل، وهذا هو حال المثل الأعلى الذي حمّله المد الإسلاميّ الأوّل.

أمّا مثل السّوء -في الفهم والتّطبيق- فإنه يعطي نسبة عالية من النّائج أيضًا، لكنّها نتائج سيئة، ومن أمثلته المثل الذي طرحته بعض الفرق المتطرّفة في التّاريخ الإسلاميّ؛ كالخوارج والباطنيّة والحشاشين.

(١) عبد السّلام حمود غالب، الوسطية في الخطاب الدينيّ وأثره على المجتمع:

ومن العلاجات المناسبة في هذا الأمر:

إيثار وجه الله، ووضوح الأهداف في منظومة ورؤية فلسفية تربوية، هما أساس كل نجاح وقبول وتقدم، فالإخلاص فريضة لازمة على كل مسلم، فالكل مطالب بمراقبة الله وطلب رضاه فحسب، فإذا اتَّصل الأمر بالدُّعاة فالإخلاص فريضة أكد وأشد.

وأتساع نطاق عمل الدَّاعية واختلاطه بالنَّاس وذوي السُّلطة، يتطلب منه أن يكون يقظ القلب والعقل، والعلاج يكون في الحرص على استدامة ذكر الله وخشيته، فهذا يجعل رضا الله ملء القلب والأرب، ومن ثمَّ يجعل رضا المخلوقين وراء ظهره. فليعلم الدُّعاة أن تملق عواطف النَّاس دليل ضعف، وليس دليل ذكاء، والدَّاعية السُّطحي المتلون يرتكب جناية مرَّبة، إنه يُفقد ثقة النَّاس في الدِّين نفسه، ثمَّ إنَّه مثل ونموذج سيئ لعوام النَّاس، فبدل أن يعلمهم العزَّة والصَّلاة والكفاح، يعلمهم التَّهاون والتَّملق والانبطاح.

ومن هنا يجب أن يعلم الدُّعاة أنَّهم مؤتمنون على تبليغ الوحي مصفَّى كما نزل، مؤتمنون على خبرات رفيعة، مهمتها الإسهام في رقي الإنسان، وتصويب مسيرته عبر الحياة نحو المصير. إنَّ الدُّعاة هم أعيان المجتمعات ومبلِّغو الرِّسالات، وهم وحدهم القادرون -بتوفيق الله تعالى- على إعادة العافية للعقول، والنضارة للقلوب، لكن بشرط التَّأهيل النَّفسي والعلمي والمهاري المتميِّز، مع اليأس مما في يد النَّاس، والاستغناء بالله عمَّا سواه^(١).

(١) المفصل في فقه الدُّعوة إلى الله تعالى، ٦: ٥٠.

المبحث الثالث شروط الخطاب الديني

هناك شروط مهمّة للخطاب الدينيّ وآدابه الشرعيّة التي يفقدها يتحرّك الخصام، وبمراعاتها يحصل قبول الخطاب من الآخرين، منها ما يلي:

١- تأهل المتكلّم للخطاب:

كم جرّ الإخلال بهذا الشرط في الخطاب زلّات لأهل العلم وهفوات، حيث تسمع من وقت لآخر بخطاب تضحج به أركان الدنيا، ويصنك مسامع سكان الأرض في ساعات، وينكره أهل العلم ويغضب له أهل الدين، ولكن أني لنا بمن ينتهي إذا نهي؟!!

٢- الاعتناء بالدليل:

يُعاني الخطاب على أيدي بعض المنتسبين إلى العلم الذين لا يُمحصّون القول ولا يلتفتون إلى الدليل، وينابذونه منابذة كليّة، وينكرون على من ينبههم إليه، أو يطالبهم به، ولا يرجعون فيما يقولون حتّى إلى ما دُوّن في المصادر الأولى المعتمدة من أمّات الكتب، التي تذكر صحيح العلم ولا تجرد الفقه من الأثر، بل يقنعون أحياناً بما تنفرد به بعض الحواشي المتأخّرة في مسائل غريبة حذر منها المحقّقون من المتقدّمين، زاهدين في الدليل، معرضين عنه، بل لا يبالون أن يطلقوا على العمل المخالف لما ألفوه وتقلدوه أنّه بدعة، ولو كان ثابتاً عند المخالف بسنة صحيحة^(١).

(١) المرجع السّابق، ٩: ١٩٠.

٣- الاعتناء بفقهِ الدليل ومراعاة مقاصد النصوص:

لا يكفي في خطاب الآخرين التَّجَمُّلُ بالدليل ورفع شعاره، حتَّى تنضمَّ إليه الرِّغبة في فقهِ الدليل، والتَّوجه إلى الاعتناء بمقاصد النصوص، وإعمالها مجتمعة، دون الوقوف عند حرفية بعضها بما يتضارب مع نصوصها الأخرى^(١).

يقول ابن عبَّيد البر^(٢): «أمَّا طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقُّه فيه، ولا تدبُّر لمعانيه، فمكروه عند جماعة أهل العلم»، ويقول: «الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار، دون تفقُّه ولا تدبُّر، والمكثُر لا يأمن موافقة الكذب على رسول الله».

٤- تجنب ذكر الضَّعيف وشاذ العلم من أجل الدُّنيا:

العمل بالرَّاجح من أقوال أهل العلم واجب لا راجح؛ لأنَّ الرَّجحان تتقوَّى معه غلبة الظَّنِّ على أنَّ ما دلَّ عليه هو الحقُّ، والعمل بما غلب على الظَّنِّ أنَّه الحقُّ واجب؛ لأنَّ خلافه اتِّباع للهوى، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

يَتَّفَقُ العلماء حول العمل بالرَّاجح من حيث: «إنَّه متَّفَقٌ عليه، ولم يختلف في ذلك إلا من لا يعتدُّ به، ومن نظر في أحوال الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم ومن بعدهم، وجدَّهم متَّفَقين على العمل بالرَّاجح وترك المرجوح»^(٣)، ويدلُّ على وجوب العمل بالرَّاجح حديث معاذ في ترتيب الأدلة، ففيه النَّصُّ على تقديم القرآن على السُّنة، والسُّنة على الرَّأي، فلا تجوز الفتوى بضعيف الأقوال^(٤).

(١) الصَّادق بن عبد الرَّحمن الغرياني، نحن والآخر في أدب الحوار: معالم التَّكامل وآفاق المستقبل، ٢٤.

(٢) المرجع السَّابق، ٢٨.

(٣) ابن عبَّيد البر (ت: ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزَّهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ٢: ١٠١.

(٤) علماء وطلبة علم، فتاوى واستشارات، النَّاشِر: موقع الإسلام اليوم، ٤: ٤٥١.

٥ - عدم التوسع في المسائل الكلامية:

من محاذير الخطاب الديني التوسع في المسائل الكلامية للعامّة وإقحامهم في تفصيلات من مسائل العقيدة لا قبل لهم بها، ولا هي واجبة عليهم لتصحيح إيمانهم، كالتفصيل في متشابه صفات الربِّ ﷻ وكلامه، إذ لا فائدة لهم من الخوض فيها سوى إثارة الجدل ووقوع الشُّبه؛ إذ لا شكَّ في صحّة الإيمان المجمل على ما جاء في حديث جبريل ﷺ، وهو الذي يطيقونه، وهو الذي كان رسول الله يقبله من أصحابه حين إسلامهم، كما دلّت عليه أحاديث إسلام الأعرابي، وإسلام أبي ذرٍّ، وخالد بن الوليد، وحديث بهز بن حكيم، وغيرهم من الصحابة، فلم يكن الرسول يفصل لمن يأتيه منهم راغباً في الإسلام مسائل الصفات، أو كلام الله تعالى، بل كان يكتفي منه بالتصديق والتسليم بما يجب الإيمان به إجمالاً، والنطق بالشهادتين، وتعليمه أركان الإسلام الظاهرة، ليعمل بها^(١).

(١) الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، نحن والآخر في أدب الحوار: معالم التكامل وآفاق المستقبل، ٣١.

(٢) المرجع السابق، ٣٢.

المبحث الرَّابِع

دور المنهج الوسطي في تنمية خطاب ديني معتدل:

إنَّ العنف الدِّيني أحد أخطر منابع التطرّف، لتلبّسه ببُعد شرعي، وتوظيفه النَّصِّ الدِّيني، وسرعة تصديقه من قِبَل النَّاس، وقدرته على التّخفي تحت غطاء الشَّرعيّة والواجب والجهاد والعمل الصّالح. ف«عندما نعود الى سياق الخطاب الدِّيني المعتدل نوَكِّد أنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد، ويصرّ على تكفير الآخرين، من أجل شرعنة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينسجم مع روح الشَّرعية الإسلاميّة، وبعدها الإنسانيّ، وبالتالي فهذا الفهم يُعدّ من أخطر منابع التطرّف، لالتصافه بالدِّين الحنيف، فالمطلوب من أجل الرقي إلى مستوى المجتمعات المتسامحة العمل على تفكيك الخطاب الدِّينيّ المتطرّف، وتفتيت بناه المعرفية، وإشاعة وعي دينيّ قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللّون من الفهم ويحلّ محله خطاب متّزن يمهد لاستنبات قيم التّسامح والعفو والرّحمة»^(١).

إنّ لغة الخطاب المعتدل تجلت معانيها في القرآن الكريم بشكل واضح، ما يحتمّ علينا التّركيز على عناصر الوحدة والتقارب بين الأديان، وجعلها حلقة وصل فيما بيننا^(٢).

(١) السّيد البهادلي، كلمة شارك فيها في التّدوة التّقاشية (دور علماء الدِّين في توجيه الخطاب الدِّيني المعتدل في أوروبا) التي أقامتها الجمعية الأوروبيّة لتعارف الأديان، في العاصمة الألمانية برلين، على قاعة فندق الشّيراتون، بتاريخ: ٢٠/١/٢٠١٨م.

(٢) السّيد سليمان الموسوي، مدير المركز الإسلامي في هامبورغ، كلمة شارك فيها في التّدوة التّقاشية (دور علماء الدِّين في توجيه الخطاب الدِّيني المعتدل في أوروبا).

وتتفق كل الطوائف الدينية على هذا؛ حيث يقول الدكتور حنا عيسى: «الركيزة الأساسية التي يستند إليها أي خطاب هي انطلاقه من رؤية فكرية ينبثق عنها آراء وتصورات معبرة عن هوية الخطاب، فالخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق، ونظرة موضوعية».

وأشار إلى أن هناك ضرورة لوجود خطاب ديني معتدل يضع في المقدمة المصلحة العامة للمجتمع من خلال وعي يستند إلى المسؤولية الوطنية والواجب الأخلاقي والتكليف الشرعي، وتابع «يجب اعتماد الاعتدال كأساس مهم في الخطاب الديني، إضافة لنبذ التطرف للمساعدة في البناء بدلاً من التهديم، حيث يجب أن يركز الخطاب الديني على الإرشاد والتوجيه بدلاً من التحريض والتخوين، فثقافة العنف لا يمكن أن تساعد في البناء».

وأوضح، «الأصل في الخطاب الديني هو الاعتدال، لكن طرأت على الأمة مراحل علت فيها أصوات التطرف والمجتمع الإنساني بطبيعته يوجد فيه المتطرف والمعتدل حسب ظروف ونفسيات تتعلق بالمتطرف والمعتدل نفسه، لكن في حالة استقرار الأمة فإن أصحاب الغلو لا يجدون مجالاً للتمدد في مساحة الأمة، بل ينحصر على أنفسهم ويتبوتقون بحيث لا يكون لهم أثر، والاعتدال هو الأصل في الخطاب الديني المسيحي الإسلامي»، واستطرد، «وضع خطاب ديني معتدل يؤدي بالنهاية إلى عدم التشدد والفضوى والشتائم والسباب ونبذ الآخر والإساءة إليه، وبالتالي الحفاظ على المصلحة العامة، والحفاظ على الأمن والسلم الاجتماعي، ووآد الفتنة الطائفية من خلال خطاب ديني متزن معتدل»^(١).

* ظهور بعض الجماعات المتشددة والمنسوبة إلى الدعوة الدينية والخطاب الديني ظلماً وبهتاناً، من خلال عدم وضوح ورؤية الاتجاهات الإسلامية وتضاربها وعدم أو قلة التعامل مع قضايا العصر ومتطلباته فضلاً عن الأنانية وحب الذات أي بسبب إعجاب المنتسبين إلى الدعوة الدينية بنفسه وعدم رؤية مصلحة الأفراد والمجتمعات أي تفضيل مصالحهم الشخصية على المصلحة الفردية أي

(١) حنا عيسى، الأمين العام للهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات:

مصلحة الجماعة من خلال الجهل بالمقاصد الشرعية والتغاضي عنها، والخلل في ترتيب الأولويات.

فللخطاب الديني المعتدل دور كبير في محاربة الأفكار الهدامة الداعية إلى الإخلال بالأمن والسلم المجتمعي حيث إن الأمن مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء وتعمير الأرض ودوره للنهوض بمجتمع متزن من خلال إصلاح مناهج التعليم بتأصيل العلوم والمعارف الطبيعية، وبتقديم القدوة الصالحة في الخطاب الديني بمختلف أنواعه من قيادات مؤثرة، وبإدخال الوسائط الحديثة في تقديم الخطاب، وبحث الأذكياء على الخطابة وبمعالجة الخطاب الديني بالفكر وليس بالعنف^(١).

* ومن الإشكالات التي عالجها الشرع الحنيف مشكلة الانحرافات العقدية والفكرية، حيث أخبر الله عن وقوعها، وطرق الوقاية منها، وحذر من أسبابها، وبيّن طرق علاجها في حال وقوعها.

والانحراف العقدي والفكري قديم الوقوع منذ عهد نوح -عليه الصلاة والسلام- قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، بل هو من الابتلاء الذي جعله الله ﷻ في الأرض، ليمحص الصادقين من الكاذبين، قال سبحانه: ﴿الْمَ ۗ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۗ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ومن فضل الله على هذه الأمة أن بين لها سبيل الخلاص من هذا الانحراف والاختلاف، عن طريق الخطاب الديني المعتدل المبني على اتباع الوحي، فقال سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، والنبي ﷺ بين سبيل النجاة من الانحرافات العقدية والفكرية في غير ما حديث، ومنها قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ

(١) دور الخطاب الديني المعتدل في تحقيق التغيير الاجتماعي:

مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيْرِي اِخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ
تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ
وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود.

فذكر النَّبِيُّ ﷺ الدَّاءَ وهو الافتراق والاختلاف، ثم ذكر الدَّواءَ وهو اتِّباع سنته وهديه، واتِّباع سنة وهدى الصَّحابة من بعده وعلى رأسهم الخلفاء الرَّاشدون، والحذر من البدع والمحدثات، فمن أراد النَّجاة من هذه الاختلافات العقديَّة والفكريَّة فلا بد أن يتضمَّن خطابه وحواره مع المنحرفين هذا المنهج النَّبوي، فإنَّه كفيل بحماية العباد وصيانة عقيدتهم وفكرهم؛ لذلك قال الزُّهري: السُّنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها هلك. والصَّحابة -رضوان الله عليهم- بادروا إلى استعمال خطاب دينيٍّ قائم على تطبيق هذا المنهج الشرعيِّ عند الاختلافات والفتن فنجوا، ومن أعرض عنه هلك^(١).

أثر الوسطية في الخطاب الدينيِّ على الفرد والمجتمع^(٢):

١- ينتشر التَّقارب والتَّعاشيش بين النَّاس:

الوسطية مطلوبة في الخطاب الدينيِّ بعيدًا عن التَّشدد والغلو وتحريض النَّاس؛ فالرَّسول خاطب جميع الفئات وعاش معها، فعاش في مكَّة مع الكفار، وكذلك في المدينة أبرم عهدًا مع اليهود، وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة.

٢- نبذ العصبية والدَّعوة إلى الحوار:

تقبَّل الآخر أصبح مطلبًا ملحقًا بين التَّيارات والجماعات والفئات الإسلاميَّة؛ فنحن مطالبون بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أمام العدو الواضحة عداوته لله ورسوله، فلنكن دعاة وحدة وسلام فيما بيننا تحت شريعة الله ورسوله، وقد نبذ الرَّسول العصبية القبلية الضَّيقة، وقال لأحد الصَّحابة: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْك

(١) سعيد بن سالم الدَّرمكي، دور الخطاب الدينيِّ المعتدل في الإصلاح وعلاج الفكر المنحرف.

<http://www.baynoona.net/ar/article/291>

(٢) عبد السَّلام حمود غالب، الوسطية في الخطاب الدينيِّ وأثره على المجتمع:

<https://www.alukah.net/sharia/0/57153>

جاهلية»، وقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». ودعا الرسول إلى الحوار كما حصل مع اليهود حيث ذكر الله سبحانه في الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وكان الرسول يستخدم الحجّة والبرهان في الخطاب، وكذلك اللين والرحمة شعاره: «لعلّ الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله».

٣- التّعایش السّلمی:

لا بدّ من التّعایش السّلمی داخل المجتمع المسلم فالوسطية في الخطاب تنشر المحبة بين المجتمع والطوائف المختلفة تحت شعار متميز وضعه الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه»، ولكن إذا أردنا النّجاح في ذلك فليكن لنا مرجع نرجع إليه عند اختلافنا، وهو الكتاب والسّنة تحت هذا الدّستور الواضح والبين الصّالح إلى قيام السّاعة، وفي النّهاية لكم دينكم ولي دين وليحترم بعضنا بعضاً، وليعذر بعضنا بعضاً في الاجتهادات ليتمّ لنا التّعایش المنصف على مستوى المجتمع الواحد فما أن ننجح في ذلك نستطيع تطبيقه مع الآخر في المجتمعات غير الإسلامیّة، وتجتمع كلمتنا وترجع لنا مكانتنا وقوتنا ومجدنا التّليد.

٤- يتمّ ترشيد الخطاب الدّيني:

وهو الذي حتّ عليه الرسول ﷺ: «يسرّوا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»؛ وبذلك يتمّ قبول الخطاب من النّاس ويترجم إلى عمل بعيداً عن المهاترات المذهبية والطّائفية، ويبدأ النّاس بداية جادّة بالبحث عن الخير للبشرية جمعاء بمختلف طوائفها ومذاهبها.

٥- تنتشر القيم والمبادئ العظيمة:

من الصّوريّ نشر القيم والمبادئ العظيمة الدّاعية إلى التّسامح، وحبّ الخير للآخرين، ونشر ثقافة التّسامح، ونبذ الأحقاد والغلّ فيما بيننا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٦- ينتشر الأمن والأمان بين المجتمع:

وذلك عن طريق محاربة الأفكار الهدّامة الدّاعية إلى الإخلال بالأمن والسّلم المجتمعي؛ فالأمن مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء والتّعمير للأرض ونشر الدّين وتعليم البشرية دين ربّها ﷻ، حيث شدّد الرّسول على عدم إيواء المحدث فقال: «مَنْ أَوْىَ مُحَدِّثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»، وكذلك جعل في الإسلام حد الحراة الإفساد في الأرض.

٧- وجود التّكافل الاجتماعي والتّراحم بين المجتمعات:

لا بدّ من وجود التّكافل الاجتماعي والتّراحم بين المجتمعات على اختلاف مذاهبها ومشاربها الفقهيّة والطّائفيّة فبالخطاب الدّينيّ المعتدل الوسطيّ المنهج ينتشر التّعايش بين النّاس والتّراحم والتّعاطف؛ فكلُّ واحد يسعى إلى الأجر والمثوبة من الله وتقديم يد المساعدة للآخرين اقتداءً بالرّسول القائل: «أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»، وقول ابن عمر: «لأنّ أقومَ في خدمة أخي المسلم أحبُّ إليّ من أن أعتكف في البيت الحرام مئة سنة»، فإذا تكلم النّاس والدّعاة وأصحاب الخطاب الدّيني بما سبق كان أدعى للناس إلى التّطبيق والتّنفيد ونشر الخير بين النّاس فرى في النّهاية المجتمع المنشود والمستقبل المتّظر.

توصية

يجب تسديد الخطاب الديني الرّسمي وشبه الرّسمي وتهذيبه في قرارات الدّولة وبياناتها ووسائل الإعلام؛ لأنّ أغلب صياغات الخطاب الدّينيّ وأساليبه غير جيّدة ولا محترمة، وبعضها يثير السُّخرية؛ ولذا يجب ألاّ يصدر خطاب أو بيان رسمي أو قرار له علاقة بالشّرع والدّين حتّى يعرض على مستشارين شرعيين. وكما تجد الدّولة والعلماء والمفكّرون في معالجة مظاهر الغلو والعنف، يجب بالمقابل الجدّ في معالجة المظاهر المعاكسة من الطّعن في العقيدة والأخلاق والسّلف الصّالح، من قبل بعض مرضى القلوب والعقول، الذين يستفزون كلّ مسلم عادي، فضلاً عن المتدين والغيور^(١).

إنّ الخطاب الدّينيّ مسؤل بصفة أساسيّة عن إشاعة الرّحمة بين النّاس، في الخطب والدّروس والمحاضرات والكتابات، بل والممارسات كافة^(٢).

(١) ناصر عبد الكريم العقل، الغلو: الأسباب والعلاج، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السّعوديّة بدون بيانات، ٣٢.

(٢) عبد الكريم الصّالح، تحليل الشّخصيات وفن التّعامل معها، ١٥.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تناول البحث عدّة نقاط محورية حول موضوع: (أثر الخطاب الديني في التوعية الفكرية)، وقد توصل إلى عدد من النتائج، أبرزها ما يلي:

* أصبح الخطاب في العصر الحديث موضوعاً للبحث في الفكر الغربي على وجه العموم، وخصّه اللسانيون والفلاسفة وعلماء التأويل بعناية واهتمام بالغين، وهذا الاهتمام يعود إلى أصل الحوار الذي يبني العلاقات بين بني البشر على مستويات مختلفة بين الشرق والغرب.

* الخطاب يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمّى خطاباً، والخطاب الديني هو مادة الكلام الديني وما يتعلّق به من عبادات ومعاملات، وبيان التشريعات المقولة أو المكتوبة بين المتكلّم أو السّامع، وبين الخطيب والمخاطب، وبين الكاتب والقارئ.

* الخطاب الديني هو فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التأثير، إنه فن من فنون تلقين المعرفة الدينيّة، وطريقة من طرائق تحريك الوعي لدى المتلقي، وهو كذلك عمليّة تربويّة توجيهية أساسها القرآن الكريم والسنة النبويّة، وهو أيضاً كلّ تعبير عن رسالة الإسلام الأخلاقيّة والحضاريّة، وكلّ تعبير عن حقيقة الدين الإسلامي، كما أنّ الخطاب الديني هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى النّاس سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

* الخطاب الدينيُّ يشمل كلَّ خطاب يدور مضمونه حول الدين بياناً وعرضاً واستلهاماً، أو تحليلاً لقضاياه أو دعوة لتبنيه في مناحي الحياة المختلفة، أو نقداً لنصوصه وصدداً ونبذاً لأقواله وأحكامه وحقائقه، سواء تعلّق ذلك بمجال العقيدة أو الفقه أو الفلسفة أو العلم أو الأدب أو الفن، وما إلى ذلك من أنواع التعبير القديمة أو المستحدثة.

* المراد بالخطاب الدينيّ هو كلُّ بيان باسم الدين يوجه للناس كافة، وسواء كان هذا الخطاب في صورة خطبة أو محاضرة أو رسالة أو مقال أو كتاب أو مسرحية أو عمل درامي على اختلاف أنواعه وأشكاله الفنيّة؛ لأنّ الخطاب الدينيّ لا ينبغي أن نحصره في جنس تعبيرى دون غيره، إنّ التّوسّع في مفهوم الخطاب الدينيّ ينسحب أيضاً على خطابنا الإسلاميّ المعاصر، كما يتيح من جهة أخرى للباحث المحلّل إمكان مقارنة خطاب مختلف الجماعات والتّيّارات التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بالإسلام، دون النّظر في خلفياتها المرجعية، وبغض النّظر عن دعاوى بعضها.

* أهمية الخطاب الدينيّ تكمن في أنّه ضروريٌّ لتبليغ الرّسالة، وأنّ الخطاب والتّبليغ هما سبيل الأنبياء والصّالحين، وأنّ الخطاب والتّبليغ طريقا الخلاص للعالم، وأنّ التّبليغ أعظم وظيفة ينال شرفها من وفقه الله، وأنّ الخطاب الدينيّ هو أساس التّبليغ لدين الله تعالى، وأنّ الخطاب الدينيّ هو تكليف ربانيّ.

* من الأخطاء الفادحة ضعف الخطاب الدينيّ وسطحيته في كثير من الأحيان وبعده عن مناقشة القضايا المطروحة، ممّا أفقده القدرة على التّأثير في حياة النّاس، وتعميق هذه السّطحية لدى الملتقي.

* إنّ رؤية الدّعاة التّربويّة المتكاملة، تُنتج الشّخصيّة الإسلاميّة المتكاملة، واقتصار الخطاب الدينيّ على الجانب العاطفيّ أو على السّطوح دون الأعماق، وعلى الفرعيات دون الأصول -تلبيةً لرغبة الجماهير- قد افسد ثمرته، وأحاله إلى أدوات شقاء عند قطاعات كبيرة من الشّعوب؛ لأنّ هذا الاقتصار قد فصل

الوسائل عن الغايات التي توفرها الرؤية المتكاملة، وما يتفرّع عنها في حياة الأفراد والجماعات.

* من العلاجات المناسبة لضعف الخطاب الديني: إيثار وجه الله، ووضوح الأهداف في منظومة ورؤية فلسفية تربوية، هما أساس كل نجاح وقبول وتقدّم، فالإخلاص فريضة لازمة على كل مسلم، فالكُلُّ مطالب بمراقبة الله وطلب رضاه فحسب، فإذا اتّصل الأمر بالدُّعاة فالإخلاص فريضة أكد وأشدُّ. واتّسع نطاق عمل الدّاعية واختلاطه بالنّاس وذوي السُّلطة، يتطلب منه أن يكون يقظ القلب والعقل، والعلاج يكون في الحرص على استدامة ذكر الله وخشيته، فهذا يجعل رضا الله ملء القلب، ومن ثمَّ يجعل رضا المخلوقين وراء ظهره.

* يجب أن يعلم الدّعاة أنّهم مؤتمنون على تبليغ الوحي مصفى كما نزل، مؤتمنون على خبرات رفيعة، مهمتها الإسهام في رقي الإنسان، وتصويب مسيرته عبر الحياة نحو المصير. إنّ الدّعاة هم أعيان المجتمعات ومبلّغو الرّسالات، وهم وحدهم القادرون -بتوفيق الله تعالى- على إعادة العافية للعقول، والنّضارة للقلوب، لكن بشرط التّأهيل النّفسي والعلمي والمهاري المتميز، مع اليأس مما في يد النّاس، والاستغناء بالله عمّا سواه.

* هناك شروط مهمّة للخطاب الديني وآدابه الشّرعيّة التي يفقدها يتحرّك الخصام، وبمراعاتها يحصل قبول الخطاب من الآخرين، منها: تأهل المتكلّم للخطاب، والاعتناء بالدليل، والاعتناء بفقّه الدليل ومراعاة مقاصد النّصوص، وتجنب ذكر الضّعيف وشاذ العلم من أجل الدُّنيا، وعدم التّوسع في المسائل الكلاميّة.

* يعد العنف الديني أحد أخطر منابع التطرّف، لتلبّسه ببعد شرعي، وتوظيفه النّص الديني، وسرعة تصديقه من قِبَل النّاس، وقدرته على التخفي تحت غطاء الشّرعيّة والواجب والجهد والعمل الصالح.

* إنّ الفهم الذي يكرّس الأحقاد ويصرّ على تكفير الآخرين، من أجل شرعنة قتالهم ومطاردتهم، هو فهم لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلاميّة، وبعدها الإنساني، وبالتالي فهذا الفهم يعدّ من أخطر منابع التطرّف، لالتساقه بالدين

الحنيف، فالمطلوب من أجل الرقي إلى مستوى المجتمعات المتسامحة العمل على تفكيك الخطاب الديني المتطرف، ونفتيت بناء المعرفة، وإشاعة وعي ديني قادر على فهم الحقيقة، كي يتوارى هذا اللون من الفهم ويحل محله خطاب متزن يمهد لاستنبات قيم التسامح والعتو والرحمة.

* إن لغة الخطاب المعتدل تجلت معانيها في القرآن الكريم بشكل واضح، ما يحتم علينا التركيز على عناصر الوحدة والتقارب بين الأديان، وجعلها حلقة وصل فيما بيننا. وتتفق كل الطوائف الدينية على هذا؛ فالركيزة الأساسية التي يستند إليها أي خطاب هي انطلاقه من رؤية فكرية ينبثق عنها آراء وتصورات معبرة عن هوية الخطاب، فالخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق، ونظرة موضوعية.

* الأصل في الخطاب الديني هو الاعتدال، لكن طرأت على الأمة مراحل علت فيها أصوات التطرف، والمجتمع الإنساني بطبيعته يوجد فيه المتطرف والمعتدل حسب ظروف ونفسيات تتعلق بالمتطرف والمعتدل نفسه، لكن في حالة استقرار الأمة فإن أصحاب الغلو لا يجدون مجالاً للتمدد في مساحة الأمة، بل ينحرون على أنفسهم ويتبوتقون بحيث لا يكون لهم أثر، والاعتدال هو الأصل في الخطاب الديني المسيحي والإسلامي.

* ظهور بعض الجماعات المتشددة والمنسوبة إلى الدعوة الدينية والخطاب الديني ظلماً وبهتاناً، من خلال عدم وضوح ورؤية الاتجاهات الإسلامية وتضاربها وعدم أو قلة التعامل مع قضايا العصر ومتطلباته فضلاً عن الأنانية وحب الذات أي بسبب إعجاب المنتسبين إلى الدعوة الدينية بنفسه وعدم رؤية مصلحة الأفراد والمجتمعات أي تفضيل مصالحهم الشخصية على المصلحة الفردية أي مصلحة الجماعة من خلال الجهل بالمقاصد الشرعية والتغاضي عنها، والخلل في ترتيب الأولويات.

* للخطاب الديني المعتدل دور كبير في محاربة الأفكار الهدامة الداعية إلى الإخلال بالأمن والسلم المجتمعي؛ حيث إن الأمن مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء وتعمير الأرض ودوره للنهوض بمجتمع متزن من توضيح في مناهج التعليم

بتأصيل العلوم والمعارف الطبيعية، وبتقديم القدوة الصالحة في الخطاب الديني بمختلف أنواعه من قيادات لها كاريزما، وبإدخال الوسائط الحديثة في تقديم الخطاب، وبحث الأذكياء على الخطابة وبمعالجة الخطاب الديني بالفكر وليس بالعنف.

* من الإشكالات التي عالجها الشرع الحنيف مشكلة الانحرافات العقديّة والفكرية، حيث أخبر الله عن وقوعها، وطرق الوقاية منها، وحدّر من أسبابها، وبيّن طرق علاجها في حال وقوعها.

* إنّ الانحراف العقدي والفكري قديم الوقوع منذ عهد نوح -عليه الصّلاة والسلام- ومن فضل الله على هذه الأمة أن بيّن لها سبيل الخلاص من هذا الانحراف والاختلاف، عن طريق الخطاب الديني المعتدل المبني على اتّباع الوحي.

* للوسطية أثر كبير في الخطاب الديني على الفرد والمجتمع؛ وذلك بأن ينتشر التقارب والتّعايش بين النّاس، ونبذ العصبية والدّعوة إلى الحوار، والتّعايش السّلمي، وترشيد الخطاب الديني، وتنتشر القيم والمبادئ العظيمة، وينتشر الأمن والأمان بين المجتمع، ويوجد التّكافل الاجتماعي والتّراحم بين المجتمعات.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم .
- أبو البقاء الكفوي، الكليات، طبعة مؤسسة الرسالة، بعناية: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، ١٩٩٢م.
- السيد البهادلي، كلمة شارك فيها في الندوة النقاشية (دور علماء الدين في توجيه الخطاب الديني المعتدل في أوروبا) التي أقامتها الجمعية الأوروبية لتعارف الأديان، في العاصمة الألمانية برلين، على قاعة فندق الشيراتون، بتاريخ: ٢٠ / ٢٠١٨م.
- السيد سليمان الموسوي، مدير المركز الإسلامي في هامبورغ، كلمة شارك فيها في الندوة النقاشية (دور علماء الدين في توجيه الخطاب الديني المعتدل في أوروبا).
- الصادق بن عبيد الرحمن الغرياني، نحن والآخر في أدب الحوار: معالم التكامل وآفاق المستقبل.
- ابن عبيد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات، المركز الثقافي العربي، لبنان، ١٩٩٩م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الطبعة الخامسة، ٢٠١١م.

- محمّد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، الطّبعة الثانية، ١٩٨٠م.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت

- ناصر عبيد الكريم العقل، الغلو: الأسباب والعلاج، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السّعوديّة، بدون بيانات.

- وهبة مصطفى الزّحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السّعوديّة، بدون بيانات.

- يعقوب إميل، قاموس المصطلحات اللّغويّة والأدبيّة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

الأبحاث العلميّة:

- إلهام المتمسك، الخطاب الدّينيّ عند الدّكتور/ عباس الجراري: المرجع والبنية، أطروحة دكتوراه بإشراف الدّكتور/ عبيد المجيد بن الجلالي، كليّة الآداب بالرباط، ٢٠٠٨م.

الدّوريات وشبكة المعلومات الدّوليّة:

حنّا عيسى، الأمين العام للهيئة الإسلاميّة المسيحيّة لنصرة القدس:

<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2016/03/16/886496.html>

دور الخطاب الدّينيّ المعتدل في تحقيق التّغير الاجتماعي:

<https://annabaa.org/arabic/studies/11878>

سعيد بن سالم الدّرمكي، دور الخطاب الدّينيّ المعتدل في الإصلاح وعلاج الفكر المنحرف.

<http://www.baynoona.net/ar/article/291>

عبد السّلام حمود غالب، الوسطية في الخطاب الدّينيّ وأثره على

المجتمع:

<https://www.alukah.net/sharia/0/57153>

عبد الكريم الصّالح، تحليل الشّخصيات وفن التّعامل معها:

<https://www.goodreads.com/book/show/9715772>

علماء وطلبة علم، فتاوى واستشارات، النّاشر: موقع الإسلام اليوم:

<http://www.islamtoday.net>

علي بن نايف الشّحود، المفصّل في فقه الدّعوة إلى الله تعالى:

<https://www.almeshkat.net/book/3089>